

عربية هي مخصصة للفلسطينيين واية واحدة رديئة معهم . ستكون فلسطين دوما هناك كما تركوها . وهي ايضا ههنا الليلة ، حول قناديل الكاز ، يجري تحويلها اليها في صورهم ونكرياتهم ولغتهم العاطفية ، في العالم المغلف لمخيم اللاجئين الذي كان بيتا لي طيلة اعوام ثلاثة .

اجلس في المقهى بجوار ابي وراقبه هو واصدقائه وهم يشربون شايهم ويمصون نراجيلهم . وانا في العاشرة من عمري .

ابي يتحدث الى اوسليم ، وهو رجل جاء وعائلته حديثا الى المخيم . ابي يسأله من اين هو في فلسطين .

ويجيب ابو سليم : « انا من حواسا » .

ويعرف ابي ان القرية قرب حيفا . « حواسا ، ها ؟ » يسأل بهدوء ، مطولا الاسم ومشددا عليه ، كأن له تأثيرا روحيا شافيا . « حواسا هي قرية جميلة » .

لقد استعمل ابي لتوه فعلا رائعا ، يعج بالاشياء التي تجعل الناس يتحدثون التاريخ والسموات والدول . صيغة جديدة سأضيفها الى قواعد كياني . فبالنسبة الى كل من والدي وابو سليم كانت حواسا ، هي وجميع الحقائق غير المموسة للقرية ، شيئا سيمقى ابديا وحقيقيا في الخزانة الجوهرية لوعيهما . بالنسبة اليهما حواسا هي الآن ولم تكن مكانا جميلا . وفلسطين هي الآن ولم تكن بلادهم ، وهكذا سأراها انا فيما ادمج في نفسي ذاتيا ذلك الزاد من الطاقة حولي .

بالنسبة الى جيل والدي كان الحاضر جنونا . ولم يكن سلسلة متصلة طبيعية لما كان . كانت الطريقة الوحيدة التي يستطيعون الارتباط به هو تحويله الى ماض مكبوح ، تحكمه صور وطقوس واحلام فلسطينية . كانت تلك هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها فرض الوثام على حياتهم اليومية ، التي اربعبتهم . كانوا ينظرون الى انفسهم في مرآة ماضيهم ، اذ انهم لو نظروا الى الحاضر لتشققت المرآة . كانت صورة واقعهم ضبابية .

ان فسيفساء كاملة من الفولكلور ابتدأت تبرز فاقتنصت ، وجمدت في العقل ، صورة فلسطين كما تركها جيل والدي . واللغة العامية اعطت انفجارا أنيا للعواطف الجماعية لهؤلاء الذين جاؤا من حيفا ومن يافا ومن عكا ومن المن الاخرى او القرى المعزولة في فلسطين . حيفا ، أيتها المدينة الحبيبة ، تركناك مع السمك الذي اصطاده صيادونا وهو لا يزال ينتفض على الرمل .

وكان يرد ابناء يافا : هرينا منك يا يافا ، يا مدينة الشمال الحزينة ، ولما تكتمل اغنية دبكتنا . والذين جاؤا من عكا كانوا يقولون : يا عكا ، بينناك غير خائفين من هدير البحر .

كانت هذه اساطير ثرية ومسيطره ملخصة من الماضي ، الذي امتحن هوية الفلسطيني وحدد توتراتها المكانية والزمنية في الغربة .